کتابخانه ملی و مرکز اسناد اسلامی «قم»

العمارة والكوت

١ ــ العمارة

Etude intéressante sur Amârah et Koût.

قال الفاضل الاديب عبدالرزاق الحسني في هذه المجلة (ص ١٦٨ من سنتنا الحاضرة) ما خلاصته عن سبب تسمية العمارة باسمها هذا انه كان على اثر تمرد عشائر تلك الانحاء في سنة ١٢٢٦ (١٨٠٩ م) فقهر الحكومة للعشائر وانشائها « عمارة » يرابط فيها جيشها . وكان قد قال الاستاذ المتفنن الشيخ علي الشرقي (لغة العرب ٥ : ٥٣٦) ان العمارة من انشاء القرن الثالث عشر (للهجرة) واتم كلامه بما يلي : « ثم اطمأن اليها الناس ... فانشأوا هناك عمارة ضخمة واطلق عليها اسم العمارة » اه .

قلت : ان الذي يشبه التاريخ هو ان اسم العمارة في تلك الاصقاع لا يعود الى الحادث والتاريخ اللذين اشير اليهما فلا يرجع الى العمارة التي ذكرها الكاتبان بل الاسم معروف في تلك الجهات قبل الزمن الذي انبئنا به ما يزيد على اجيال . وقد ذكرت في مصنفين لاديبين قبل مايقرب من اربعة قرون . وذكر اسم « العمارة » و « نهر العمارة » و « شط العمارة » و « كوت العمارة » في عدة مؤلفات قديمة لا تقل عن الخمسة عشر بين مخطوط ومطبوع فيها العربي والتركي والفارسي والفرنسي والانكليزي والايطالي نذكر منها ما يلي معرباً عن اصولها ونورد بعض النصوص للتأكيد مبتدئين بالاقدم :

جاء في « مرآت الممالك » بالتركية للرئيس سيدي علي في اخبار سنة ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م) في الص ١٦ من الاصل المطبوع في الاستانة في سنة ١٣١٣ هـ بعد انحداره من بغداد ما نصه : « سلماس فارس (سلمان فارسي) زيارت اولنوب عمارة بوغازى كجيلوب واسط يوليله زكيه يه واريلوب مقابله سنده عزير نبي عليه السلام زيارت اولنوب ... » وتعريبه :

« فزرنا سلمان الفارسي ومررنا بفوهة العمارة ثم قدمنا الى « زكية » بطريق

واسط وزرنا النبي العزير عليه السلام المقابل لها » اه .

وجاء في رحلة كاسبارو بالبي (١) في قسمها المترجم الى الانكليزية الملحق برحلة سوينسن كوبر (٢) (ص ٤٧٧) ما قوله... « وفي ١٣ آذار سنة ١٥٨٠ (٩٨٨ هـ) سافرنا من بغداد قاصدين البصرة وكان سفرنا بطريق دجلة ... وفي Elmaca يقسم النهر (دجلة) الى قسمين احدهما يجري نحو الفرات والآخر نحو البصرة » اه ولابد انه يريد العمارة كما جاء في « مرآت الممالك » وكما يأتي ولابد ان تكون الكلمة مغلوطاً فيها اما لسوء السماع فالخطأ في تصويرها واما لغيره فالغلط في قراءتها او طبعها .

وقال بولاي لوكوز (٣) في ص ٣١٥ من رحلته وهو يسير من البصرة الى بغداد صاعدا دجلة في سنة ١٦٤٩ (١٠٥٩ هـ) : « وفي اليوم الثاني عشر قدمنا الى قلعة صغيرة تعود الى بكلربكي (٤) بغداد فدفع عشرة ايكوات (٥) (Escus) من دانكنا (٦) ... اه وقد جعل بازاء كلامه في الحاشية كلمة Amara فهو يبحث عنها .

ونجد في احدى رحلات تافرنيه (٧) (١ : ٢٤٠) انه قد اجتاز ببغداد في

1) Gasparo Balbi.

2) Through Turkish Arabia ... By H. Swainson Cowper, London, 1894.

3) Les Voyages de la Boullaye le Gouz, Paris, 1657.

٤) عنوان تركي معناه بك البكات كان يطلق قديماً على كبار الولاة جنهم والي بغداد .

٥) نوع من النقود .

٦) نوع من السفن الشراعية وصفه الاستاذ الشيخ الدجيلي في هذه المجلة (٣ : ٩٨) والذي اعرفه مشاهدة عن الدانك وبركبي اياه مراراً في الفراف انه كان مقيراً وانه ليس خاصاً بالعبور انما كان يستعمل كبقية السفن ولعل الدجيلي خصه بالعبور مستدلا باحد بيوت الغناء الذي يبتدىء بـ « واويلا » (واويلاه) اذ يقول : « عمي ياراعي الدانك عبر شوكي (بكاف فارسية اي شوقي بمعنى حبيبي) وحصانه . والغناء لعله للاعراب اخذه البغاددة عنهم منذ عشرات كثيرة من السنين او اكثر ولا يزال معروفاً لم يندثر . ولم اسمع جمع دانك على دوانك بل على دوانيك ودوانيج (بياء بعد النون) وجاء ذكر الكلمة بصورة دونيج وجمعها دوانيج في كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار الناخذاء المتوفى في المائة الرابعة للهجرة .

7) Les Six Voyages de J. B. Tavernier, la Haye, 1718.

سنة ١٦٥٢ (١٠٦٣ هـ) ثم غادرها قاصداً البصرة فقال: « وينقسم النهر (دجلة) تحت بغداد الى قسمين احدهما يجري على طول بلاد كلدية القديمة والآخر نحو النقطة التي ينتهي بها ما بين النهرين ... اما نحن فقد سرنا في القسم الذي يتجه نحو بلاد كلدية ... وهذه اسماء القرى التي وجدناها على هذا الفرع من دجلة : « Amarat حيث فيها قلعة مبنية من اللبن ... » اه .

وممن ذكر العمارة الاب جوزبه الكرملي (ثم الاسقف سيستياني) في رحلته الاولى (١) المطبوعة في سنة ١٦٦٦ م (١٠٧٧ هـ) اذ قال (ص ٥٥) Elamara وذلك بانحداره الى البصرة من بغداد . وذكرها بصورة Amâra في رحلته الثانية بعودته من الهند الى بغداد (٢١٩ـ٢٢٠) . وهي المطبوعة في ١٦٧٢ م (١٠٨٣ هـ) .

واخيرنا الاب فيشنتو الكرملي في رحلته المطبوعة في سنة ١٦٧٢ (٢) (١٠٨٣ هـ) (ص ٨٨) قد وصف الى مدينة اسمها Elamara وهو يصف رحلته راكباً « دانكا » يجري في دجلة بين بغداد والبصرة .

وعندي مخطوط بالتركية (ذكرته في هذه المجلة » : ٢٢) دون فيه صاحبه المعاصر لذلك الزمن اخباراً يومية عن الولاة والحكومة الخص منه ما يمس الموضوع وهو ان الباشا غادر البصرة في ١٨ صفر سنة ١١٦٢ (١٧٤٨م) فضرب خيامه في باب الرباط وسار نهراً بطريق الفرات فقدم الى الخان فالسعدية فالدير فنهر عنتر فنهر صالح فدار بني اسد فابو شوارب فالمنصورية ثم قال : « بغداد شطي، عمارة [عمارة] ايكي شق اولوب نصفي قورنه ونصفي دخي بومنزله مراد شطنه [يقصد الفرات] متصل اولور » اه . وتعريبه : « ان شط بغداد ينقسم في العمار (يريد العمارة بدليل ماياتي بكتابته العمارة) الى قسمين فيتصل نصفه بالفرات في القرنة ونصفه الاخر في هذا المنزل » اه . ثم قال في موضع آخر : « ورد الخبر ان الحرم المحترم (حرم الباشا) غادر البصرة يوم الاثنين

1) Prima Speditione all Indie Orientali del P. F. Giuseppe de Santa Maria, Carmelitano Scalzo ... in Roma, 1666.

2) Il Viaggio all Indie Orientali del P. F. Vincenzo - Maria di S. Caterina di Siena, Roma, 1672.

الموافق اليوم الثالث من المحرم (١١٦٣ هـ ١٧٤٩ م) فتوجه للقائهم الداماد (الصهر) احمد باشا يوم الخميس الواقع في اليوم السادس عشر من الشهر وذلك على امر حضرة ولي النعم (الباشا) فوصل الى العمارة (عماريه [عمارية] واصل (١) ...) في اليوم الثالث والعشرين منه الموافق يوم الخميس فوصل كذلك الحرم المحترم الى المحل المذكور بطريق شط العمارة (عماره شطى ايله) » اه.

ومما جاء في تذكرة شوشتر للسيد عبدالله ابن السيد نور الدين ابن السيد نعمةالله الحسيني الششتري المتخلص بفقير المتوفى في سنة ١١٧٣ (٢) هـ (١٧٥٩م) انه قال في الص ٦٨ «...واعراب واكى بسمت رود عماره رفته بودند...» اه.

وقال دانفيل (٣) في كتابه « الفرات ودجلة » المطبوع في سنة ١٧٧٩ (١١٩٣ هـ) في الص ١٤٦ :

« موقع Amara يرضينا كل الرضى لان نلحق خريطة الصابئة(٤) ونتمتع بفوائدها .

ثم قال (ص ١٤٧) : « وتعرف فتحة [هذه البطائح] في خريطة الصابئة من موضع اسمه حي بني ليث(٥) بازاء Amara ولاصق بالضفة اليمنى من الشط وبعدها حالا الاكراد او قلعة الاكراد .

وبتوجيه النظر الى الخريطة التي الحقها المؤلف بكتابه نرى انه يعين موقع جبل (بضم فتشديد) ثم يليها النعمانية فالجوازر ففم الصلح فواسط فالعمارة

١) ولو اراد «عماره» لقال «عماره» وهو يغلط في ضبطه للالفاظ كما نشاهده في المخطوط.

٢) من مطبوعات The Baptist Mission Press, Calcutta, 1924

3) L'Euphrate et le Tigre, par M. d'Anville, Paris 1779

٤) تجدها في مجموعة رحلات Melchisédeck Thèvenot المطبوعة في باريس سنة ١٦٦٣ على ما جاء عنها في Mémoire sur la Collection de Voy. des de Bry et de Thèvenot, Par A. G. Camus. Paris, XI (1802.) في الصفحة ٢٨٨ حيث قال انها خريطة البصرة وانحائها وفيها الاسماء بالعربية وفي اسفل الخريطة ترجمتها باللاتينية وحكى عنها كاموس في الص ٣٠٣ ايضاً .

٥) كتبها Lyi غلطاً وهو يقصد بني ليث (بالفتح) منهم اليوم ـ على ما اخبرت ـ فرقة من بيت منيهل من مياح في قضاء الحي ومنهم ـ على ما يقال ـ في لواء العمارة والديوانية وذكرهم كتاب «مجالس المؤمنين».

Amara (على الضفة اليسرى) وبازائها (على الضفة اليمنى) فرع منشعب من دجلة. والاحظ استطرادا ان في هذا التسلسل غلطاً ليس اليوم من موضوعي نقده.

وجاء عن دجلة كلام شبيه بكلام دانفيل في كتاب جغرافية بوشنك المطبوع في سنة ١٧٨٠(١) (٥ـ١١٩٤) في الص ٣٨٦ بعد ان تكلم عن واسط قال Elmara, Amara قرية تسكنها الاعراب فيها قلعة وتحت ذلك تنقسم دجلة الى قسمين احدهما وهو الايمن يتصل بالفرات والثاني وهو الايسر مع هذا النهر (القسم الايمن) تتألف جزيرة قرب القرنة . » ا ه ودانفيل وبوشنك مؤلفان وليسا بصاحبي رحلة . وقد رحل سستيني من بغداد الى البصرة سنة ١٧٨١ وهو يقول في رحلته (٢) من الترجمة الفرنسية (ص ١٨٢):

« قدمنا الى Amara التي يقال انها في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة ... واشترينا في Amara دجاجاً ...

وبازاء Amara جدول حفرته يد الانسان ينشىء جزيرة كبيرة اسمها « جزائر » فانه يوصل مياه دجلة بمياه الفرات . » ا ه وفي كتاب صفة باشوية بغداد لروسو المطبوع في سنة ١٨٠٩ (٣)(١٢٢٤) ما قوله :

« وبارجاع كلامنا الى ضفاف دجلة تقع انظارنا اولا على Amara وهي موضع يقع على اليمين [والصحيح على الضفة اليسرى] وهناك ينشعب من النهر [اي دجلة] جدول يصب بالفرات قليلا فوق Kout [يريد به كوت العمر بفتح الميم الثانية المشددة] » ا ه والظاهر انه يريد بالعمارة كوت العمارة اذ انه لم ينوه به في كتابه بينما كان الكوت قائماً كما سنرى .

وابان كتاب جهانتما لكاتب جلبي المطبوع في سنة ١١٤٥ (ص ٦ـ٤٠٥) ان المسافر من البصرة الى بغداد ثلاث طرق وذكر منازلها وقال عن الطريق

1) Géographie de Busching retouchée par Mr. Bérenger, T. VIIIe., Lausanne, 1780.

2) Voyage de Constantinople à Bassora en 1781... Par Sestini Paris VI. (1797).

٣) ذكرت اسمه بالفرنسية هذه المجلة (٢ : ٤٥٩ ح) وقد اخفى اسم المؤلف ونسب التأليف الى ... M

الوسطى : « من البصرة الى القرنة الى هدير (?) فبيرة امير المؤمنين فآل حسين (?) فالفتحية فنهر السبع فجديدة عفراد (?) فعبد ورقا (?) فالمنصورية فالاسكندري (١) فشط الحمار (بتشديد الميم) فالقلعة الجديدة فقادكة فقلعة القصر فالجوازر فصدر عمار (مدر العمارة ؟) فاللقمانية فبغداد» قلت اخال ان في عدد المنازل نقصاً بعد صدر العمار اذ ليس من المعقول ان يكون بين صدر العمارة وبغداد منزل واحد وان اعتبرنا صدر العمارة في اقرب موضع من بغداد اي في الموضع الحالي للكوت. لعله يريد النعمانية وليس اللقمانية . وجهاتنا مشحون بأغلاط الطبع تنغش فيه نغشاناً ولا سيما الاعلام. وعندي نسخة من مخطوط فارسي في تاريخ المشعشعين جاء في مقدمته انه لنور الدين بن نعمة الله الموسوي وفي آخره ان المؤلف اتمه في سنه ١٢٣٤ هـ (١٨١٨ م) ومما فيه قوله (ص ٤٢) « سيد مبارك بكنار نهر عمارة رفت » وفي ص ٩٧ « بعد از ان زكيه بكنار عمـارة وابو سدرة ... » وفي ص ١٧٦ : « سباه بغداد بعمـارة رسيده » اه وكان السيد مبارك من رجال صدر القرن الحادي عشر للهجرة .

واذ لا ترضينا شهادات هؤلاء الغرباء ولا سيما لامكان القول ان الافرنج لايفرقون بين عمارة وامارة قلنا انا شاهد صميم المروية هو مختصر مطالع السعود في كلامه عن سليمان باشا والي بغداد (والد واليها ايضاً سعيد باشا) المتوفى في سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) (ص ٢٩) فانه قال : « وعمر كوت العمارة وسورها ». وكانت وفاة ابن سند مؤلف مطالع السعود على رواية في سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤م) وهي غلط وعلى رواية اخرى في سنة ١٢٤٢ (١٨٢٩ م) وعلى رواية غيرهـا في سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ومهما يكن من امر سنة وفاة ابن سند فانها متقدمة على سنة ١٢٧٦ فلم تكن تسمية العمارة باسمها هـذا لسبب العمارة التي حكي احداثها بل هي اسم علم مسمى اقدم من الزمن المعين في المقالين ويا ليت العماريين يكتبون لنا ما يقصه عليهم رواتهم ليأخذ الباحث عنهم السنين ويربي الغث بعد التمحيص والتدقيق .

يعقوب نعوم سركيس

١) ذكر كاشف خلفا (ورقة ٤٢) اسكندر باشا واليا على بغداد في الربع الثالث من القرن العاشر للهجرة وقال ان القلعة المسماة الاسكندرية الواقعة في جزائر البصرة هي من بنائه وفي سجل عثماني ترجمة الباشا .

احمد باشا تيمور (عن جريدة البلاد)

أقامت «جمعية الشبان المسلمين» في حاضرتنا حفلة جليلة في مساء ٥ يونيه (حزيران) تكريما لذكرى فقيد العربية ومصر بل فقيد الشرق كله فاشترك في هذه الحفلة وجوه الاماثل والعلماء ورجال الحكم والفضلاء والمحامون والصحفيون على اختلاف الملل والنحل مما دل على ان الرزء اصاب جميع هؤلاء الناس وكل من ضاهاهم او كانوا ممثلين لهم.